الخيارات العسكرية الأميركية للتعامل مع إيران

أنطوني كوردسمان؛ 30 نيسان، 2008

إن العلاقات الأميركية والإيرانية تتدهور بشكل واضح، مدفوعة الى ذلك بسبب دعم إيران للمتمردين العراقيين المعادين للولايات المتحدة، ومخاطر الصدامات في الخليج، وإمكانية حدوث تطور صاروخي إيراني، وبسبب إدعاءات إيران إمتلاكها الآن لأكثر من 6000 جهاز طرد أكثر تطوراً بكثير من تلك التي ذكرتها الوكالة الدولية للطاقة الذرية أو تقرير وكالة الإستخبارات الأميركية. أما النتيجه النهائية فهي هاجس متجدد بأن الولايات المتحدة قد تستخدم القوة ضد إيران ومجموعة جديدة من الروايات حول تحضيرات وخطط حربية أميركية.

في كل الأحوال، وإذا كان من المهم الإشارة لذلك، فإن هذا الأمر يستلزم أسابيع من الزمن لتجديد القدرات الطارئة الأميركية في الخليج، وشهوراً من التخطيط الطارئ لتحديد الخيارات العسكرية لإستخدامها، كيفية التحرك ودعم القوات الأميركية، خلق إستهداف فعال، وإمتلاك خيار عسكري موثوق بالإمكان إستخدامه للردع والترهيب بالإضافة الى القيام بإستخدام فعلي للقوة. ومن الصعب بالنسبة لأولئك الذين لم ينخرطوا مباشرة بالعمل العسكري أن يفهموا كيف يمكن أن تكون عليه الخطط العسكرية الأميركية الطارئة والمعقدة، والكيفية التي تتطلبها تحديثها غالباً.

الطبيعة الحقيقية للطوارئ أو " خطط الحرب"

إن أي شكل من أشكال الخطة الطارئة أو "خطة الحرب" الحديثة يشمل عمليات مشتركة أكثر تعقيداً بالنسبة للتنفيذ الفعلي ومن ثم على خطط الطوارئ التعامل مع واقع أن العدو قد يُصعِّد أو يتصرف بطرق غير متوقعة – حتى بالنسبة لضربات محدودة. ففي الحد الأدنى، يتضمن تحديث خطط كهذه لخلق قدرة عالم واقع لتنفيذها إعادة هيكلة خطة الرصد الإستخباري والإستطلاع (IS & R) للتعامل مع قاعدة هدف متطورة، إعادة هيكلة خطة الضرب، تطوير خطة رصد وجمع للمعلومات شبيهة جداً بالمعالج الفوري (خاص بأنظمة حاسوب تحدث البيانات بنفس معدل إستقبال البيانات ذاته ما يمكنها من التوجيه والسيطرة)، وإعادة هيكلة خطة تقييم الأضرار. وفي نفس الوقت، فإن الإتصالات بحاجة لدمج أصول وموجودات تكتيكية، محلية ووطنية لخطة طارئة كهذه، الآن مع الإتصالات الرقمية كالمعلومات والرسوم البيانية الإستخبارية البصرية المعروضة على شاشات الحواسيب – ليس فقط الصوتية أو المكتوبة. كل هذه الأمور يجب القيام بها بطرق يكون فيها لدى الولايات المتحدة (وأي من حلفائها) قراراً ودورة تنفيذ أكثر سرعة وإطلاعاً من تلك التي للعدو بكثير. هذا الجزء الواحد من خطة " حرب " بإمكانه أن يتضمن ، وبسهولة، تحديث أو تطوير حوالي 10000 نشاط أو أكثر بالنسبة للولب الرصد الإستخباري والإستطلاع (IS & R) وحده، وهناك الكثير مما يجب فعله مركزياً وعلى المستوى المشترك. وإذا لم يحصل شهور أو سنوات من العمل الأولي، فإن النتيجة النهائية ستكون أقل فاعلية بكثير أيضاً. كون أن نكون قادرين على القتال بالفعل هو أمر أكثر تطلباً بكثير. فهو يعني تجميع، دعم، نشر، تنفيذ وتعزيز وحدات قتال ودعم فعلية. أما اليوم، فهذا يعني تطوير أو تعديل خطط طوارئ للقيام بأفضل إستخدام لأحدث خليط من الأصول والموجودات المشتركة. وفي حالة الخليج، فإن هذا يعني هليكوبترات ذات قاعدة برية ثابتة، إمكانية إستخدام قوات برية والـ SOF ، حاملة طائرات، حرب برية، وعمليات صواريخ كروز – زائد إتخاذ القرار حول نشر أو إستبدال ما يتعلق بعمليات مضادة للصواريخ البرية والمنطلقة من البحر وكذلك عمليات أرض – جو. كما يجب أن تكون هذه القوات جاهزة أيضاً للتعامل مع أشكال متوقعة من التصعيد والغموض، عليها أن تكون قادرة على الحفاظ على مستوى ثابت من التحمل، كما عليها أن تكون جاهزة للتعامل مع إخفاقات جزئية كما للتعامل مع المشكلة بأن الضحية الأولى للحرب غالباً ما تكون خطة الحرب.

إن الديناميكيات المشتملة موضحة ومبينة بمشكلة الضربات الجوية والصاروخية الإستهدافية. فبما أن الإستهداف، وببساطة، ليس العثورعلى هدف، وإنما هو تقييم وضعه المحتمل بعد هجوم أولي، فإن إتخاذ القرار حول عتاد الحرب الملائم، تقييم الأضرار، إتخاذ القرار حول ما إذا كانت إعادة الضربات ضرورية – في وقت التفاعل مع رد فعل العدو – وخطط الطوارئ أو الحرب تصبح كلها أموراً أكثر تعقيداً حتى. علاوة على ذلك، يجب تقييم كل عمل من حيث تأثيره السياسي والديبلوماسي المحتمل.
هذا هو السبب الذي لأجله تعني "المحافظة على الخيار العسكري" التخطيط الطارئ الثابت والدائم، وتطوير مروحة واسعة جداً من خطط الحرب. في نفس الوقت، إن نفس وجود هذه العملية غالباً ما يقود الى مخاوف حرب متى ما حصل الإعلام على صورة جزئية لخطة ما – التي غالباً ما تأتي من شخص في الجيش صاحب هدف شخصي أو أناني، فهم محدود لما يجري، وميل أحياناً لإرباك التحضيرات وحالات التأهب مع النية بتنفيذ الخطة بالفعل.
علاوة على ذلك، تعتبر التدريبات الأميركية، "التسريبات"، وإرسال إشارات مختلطة طريقة روتينية لفرض الضغط على عدو محتمل، بالإضافة الى إستخدام الترهيب كبديل للقوة وحافز للعدو للقبول بخيارات ديبلوماسية. أما خطة الطوارئ فتصبح سلاحاً سياسياً، كما أن نفس الإدارة التي تظهر رثاءها لسوء تفسير الإعلام، أو أنها تقوم "بالتسريب" قد تكون تستخدم هذا الإعلام بشكل متعمد ومدروس. وفي حين أننا لا نطرح بأنه قد يكون على الإدارة إختراع صحافيين مثل هيرش إذا لم يخترعوا أنفسهم، فقد كانت هناك حالات حيث كان فيها لتركيبة مؤلفة من مخاوف وإنكار قرع طبول الحرب تأثيراً ديبلوماسياً مفيداً بالإضافة الى تأثيرات سلبية أيضاً.

الأسلحة النووية الإيرانية

تواجه الولايات المتحدة مجموعة معقدة جداً من المشاكل في التعامل مع التدخل الإيراني في العراق والتي لا تمنحهم الخيار العسكري نفسه. فهناك على الأقل ثلاث مجموعات مختلفة من الإحتمالات الطارئة التفاعلية التي على الولايات المتحدة أن تكون مستعدة للتعامل معها.
إحدى هذه الإحتمالات هي الإمكانية النووية – التي ستتطلب مستوى عال جداً من الضربات الأميركية العميقة وإعادة الضربات للحصول على تأثيرات دائمة. وإن الكثير من هذا سيعتمد على ما إذا كانت الولايات المتحدة ستختار الضرب بشدة ضد أهداف نووية، وتختار التعامل أيضاً مع قدرات الإنتاج الصاروخي وقدرات التحكم والقيادة الإيرانية، بالإضافة الى الدرجة التي تكون سعت فيها لإحداث قمع فعال للدفاعات الجوية الإيرانية. كما أن ذلك سيعتمد أيضاً على ما إذا كانت الولايات المتحدة ستسعى لفتح ممر دائم تتمكن من خلاله تنفيذ إعادة ضربات لأهداف ناجية أو جديدة والمدة التي تكون سعت فيها على إبقاء ذلك الممر مفتوحاً. إن ضربة "تحذيرية" محدودة هو خيار ممكن، لكنه قد يؤدي الى الإستفزاز أكثر منه الى المنع. أما أن يتطلب خياراً كهذا 1000 غارة جوية تقريباً – بما في ذلك الدعم وطائرات من دون طيار – وأكثر من 1000 ضربة فعلية بأسلحة دقيقة وصواريخ كروز فهو أمر أكثر من محتمل.
بالإمكان ضرب أهداف عديدة إنطلاقاً من سفن أو حاملات طائرات، لكن بعض الأهداف ستعتمد، وبشدة، على قاذفات حاملة لقنابل خارقة لطبقات الأرض ذات قواعد برية. أما الصدمات الإرتدادية السياسية فستكون عالية، وستجد الولايات المتحدة من الصعب عليها جداً التراجع عن أي شيئ عدا تحقيق "النجاح". إن الولايات المتحدة لا تمتلك القوات البرية لغزو إيران - حتى ولو كان بإمكانها المخاطرة في تدريب آخر في عملية وطنية مسلحة – وهذا يعني إحتواء خيارات إيرانية لأنشطة في العراق، لبنان، أفغانستان، والتعامل مع إرهابيين وفاعلين غير حكوميين مختلفين.
ستكون الولايات المتحدة بحاجة، على الأرجح، الى إستخدام مكثف لقواعدها في قطر والكويت، كما ستكون بحاجة الى قواعد طارئة أو عاملة في عُمان، وتفعيل دييغو غارسيا على أساس طارئ على الأقل. وتريد الولايات المتحدة أن تكون قادرة أيضاً على توفير الأمن لكامل الخليج وخليج عُمان والمياه المتصلة بالمحيط الهندي. كما أن تبرير الضربة سيستلزم حملة ديبلوماسية ضخمة بالإضافة الى حملة حرب معلومات – التي هي أصعب حتى، بسبب سوء إدارة المعلومات الإستخباراتية أثناءالفترة التمهيدية لحرب العراق، وتقرير الإستخبارات الوطنية حول إيران، والمفاعل السوري.

الدعم الإيراني لعناصر التمرد المتطرفين في العراق

إن التعامل مع الدعم الإيراني لعناصر التمرد المتطرفين كأولئك الموجودين في ميليشيا الصدر هو نوع مختلف جداً من النزاع. فمن جهة، إن إحتواء أو وقف الدعم الإيراني لميليشيات كهذه بتوليفة من التهديدات بمهاجمة إيران، أنشطة القوات

الأميركية والعراقية ضد قوات القدس في العراق، وأنشطة أخرى مشابهة ضد ميليشيات شيعية عراقية ومتمرين، يشتمل على خليط من النشاطات ذات مخاطرة متدنية نسبياً.
إن القتال داخل العراق جار بالأصل الآن، وقد سبق للولايات المتحدة أن سجلت ضربات هامة ضد عناصر إيرانية وأخرى مدعومة إيرانياً في مدينتي الصدر والبصرة.
ومن جهة أخرى، فإن ترهيباً وإحتواءً أميركياً لنشاط إيراني كهذا في العراق يتطلب أن تكون التهديدات الأميركية موثوقة، وأن يُنظر الى الأنشطة العسكرية ضد أهداف إيرانية بأنها ناجحة بشكل محتمل، كما على الولايات المتحدة أن تبرهن بأن بإمكانها " منع إيران من التصعيد" وبأن رداً إيرانياً كهذا سيمثل مشاكل كبرى بالنسبة لها. وبإختصار، إن صنع مقدار محدود من عمل القوة يتطلب تهديدات مقنعة جداً ضد القدرة الإيرانية الموجودة وبأن بإمكان هذه التهديدات المقنعة أن تقوم بما هو أكثر بكثير . وحتى عندئذ، فإن النتيجة النهائية قد تفشل فعلاً. فإيران لم تظهر فقط بأنها غير متهورة، وإنما أظهرت أيضاً إستعدادها لتسمية التهديدات الأميركية بالهراء وبتجاهل تهديدات كهذه.
وإذا ما شعرت الولايات المتحدة بأن عليها *" فعلاً إستخدام القوة"* ضد قوات القدس وعناصر أخرى من الميليشيات العراقية ذات الدعم الإيراني الموجودة في إيران، فإنها تواجه عدداً من المشاكل. فمواقع القدس ذات قيمة متدنية نسبياً كأهداف، فهي سهلة الإنتشار، حتى أن بالإمكان مكافحة أفضل الهجمات بسرعة نسبياً عن طريق إعادة إنشاء كوادر وعناصر قوة جديدة. وقد كان هذا الأمر بكامله واضحاً جداً منذ المحاولات الأميركية الماضية – كان عدداً منها ناجحاً جداً في ضرب ما يشبه، بطريقة ما، مواقع القاعدة والطالبان. وبإمكان إيران أن تدعي سقوط عدد كبير من الضحايا المدنيين، البراءة، ومن ثم التعافي من الضربات بسرعة نسبياً.
وهذا قد يعني، على الأقل، إثبات القدرة الأميركية على تنفيذ ضربات عقابية. فإيران عرضة للإستهداف في مناطق أخرى. فالولايات المتحدة لا مصلحة لديها في بقاء مرافق الغاز الإيرانية، شبكات الطاقة، أو المصافي. قد يكون لدى إيران مرافق نووية سرية تحت الأرض، إلا أن موقع مفاعلها عرضة للإستهداف وكذلك مرافق الإنتاج العسكري لديها.
إن الحرب اللا متماثلة، وببساطة، ليست نطاق سلطة الضعيف، إنها أيضاً نطاق سلطة القوي.
إذا كان يمكن لخيارات كهذه أن تكون محدودة بالنسبة لإيران، فإن هناك أشكالاً من الحرب المحدودة أيضاً التي قد لا يستسيغها العراق، حلفاؤنا الخليجيون، والعالم، لكن من المرجح أن يتم إجازتها والتسامح بشأنها. فحوالي 100 من صواريخ كروز والضربات الجوية الدقيقة قد تكون كافية. فالقوة الضاربة بإمكانها أن تكون منطلقة من البحر، لتتخلص بذلك من أي إحراج لدول الخليج الجنوبية في " إستضافة" خيار كهذا.

التصعيد الإيراني في العراق، أفغانستان، الخليج، لبنان، ومع فاعلين غير حكومين

إن المشكلة بالنسبة للولايات المتحدة هي أن لدى إيران خيارات عديدة خارج حدودها. فإيران قد سبق لها أن خاضت نزاعاً بحرياً منخفض المستوى مع القوات الأميركية والبريطانية في الخليج – "حرب الناقلات" عامي 1987-1988. وبإمكانها السعي لتحريك العالم والرأي العام الإسلامي، وتمثيل الولايات المتحدة شيطاناً في إيران، وذلك بمواجهة القوات البحرية الأميركية حتى ولو كان ذلك يعني خسائر كبرى. إن جزءاً جيداً من بحريتها القديمة الطراز قابل للتمدد. فهجمات مباشرة بواسطة زوارق صغيرة وخفر سواحل حاملة للصواريخ في قسم البحرية التابع لحرسها الثوري قد ينتهي بـ "الشهادة"، كما يمكن أن تنتهي بذلك ضربة صاروخية مضادة للسفن من مواقعها البرية على جزرها أو الحدود القريبة من مضيق هرمز. في كل الأحوال، إيران قد تعمل حساباتها بأن بإمكانها الفوز عن طريق الخسارة، كما بإمكانها إما إطلاق هجمات صغيرة كافية في آن معاً لإجبار الولايات المتحدة على التصعيد بطرق سيعتبرها قسم كبير من العالم بأنها إستفزازية، أو القيام بحرب إستنزاف بطيئة غير متوقعة في الخليج في سلسلة من الغزوات الصغيرة الممرحلة. وقد تحسبها جيداً لجهة أن الولايات المتحدة لن تخاطر بضرب صادرات النفط الإيراني، أو واردات الغذاء، مع ما هو معلوم من المسائل السياسية والإقتصادية المتضمنة.
إيران أيضاً تمتلك خيارات يمكنها تنفيذها بمستويات منخفضة وسرية بمرور الوقت. فإيران بإمكانها الظهور بمظهر المتراجع في العراق، وخلق حضور داعم جديد وأكثر سرية، أو الإنتظار لرؤية إن كان بإمكانها إستغلال الجو السياسي الجديد الناشئ من الصراع مع الصدر، وإستغلال الإنتخابات المحلية والمحافظاتية في تشرين الأول، أو الإنتخابات الأميركية في تشرين ثاني. فالولايات المتحدة ستترك العراق مع مرور الوقت، وربما قريباً إذا ما فاز أحد المرشحيْن الديمقراطييْن. أما إيران فستكون لا زالت على حدود العراق وتملك علاقات مع سوريا.

قد تزيد إيران من دعمها لكل من العناصر الأفغانية والباكستانية. فالضغط الإيراني في الغرب سيجعل الأمور أسوأ، حيث أنه سيفعِّل الدعم للأقلية الشيعية في أفغانستان ويقدم المساعدة للطالبان المهيمن عليه من قبل عمر جنوب أفغانستان ومنطقة البلوشيين في باكستان. بإمكان إيران زيادة الدعم لحزب الله، توفير دعم أكثر علانية لحماس، أو نقل عدد أكبر من الصواريخ الى سوريا.
ليس على إيران أن تجابه القوات الأميركية والبريطانية في الخليج. فبإمكانها إستخدام قسم البحرية في الحرس الثوري لتهديد حركة الناقلات بفعالية أو بسلبية، ناشرة ألغاماً طافية بحريّة في التيارات المائية الموجودة في جنوب الخليج، إستخدام غواصات لزرع الألغام، أو إستخدام حركات شيعية محلية في دول الخليج الجنوبي للعمل كبديل أو غطاء للتخريب وتدمير الممتلكات.
مرة أخرى نقول، لدى الولايات المتحدة مضادات لكل هذه الخيارات، وبإمكانها إستخدام التصعيد اللا متماثل للإضرار بإيران أكثر مما بإمكان إيران الإضرار بالولايات المتحدة أو حلفائها. في كل الأحوال، هناك أثمان ومخاطر سياسية واضحة ، فالنتيجة النهائية قد تعني الصنع من إيران عدواً أكثر خطراً بكثير، وعلى الولايات المتحدة أن يكون لديها خطط طارئة للتعامل مع كل هذه الإحتمالات.

قانون النتائج غير المقصودة

ليس هناك من مزحة أو هزل بخصوص سلسلة الخطط الطارئة هذه. فكل إستخدامات القوة تشتمل على مخاطر، لكن عدم الفعل أيضاً. إن قانون النتائج غير المقصودة ينطبق على كليهما. فما هو مهم، في كل الأحوال، هو فهم لم الولايات المتحدة بحاجة الى المحافظة على الخيار العسكري ضد إيران، والمخاطر في تنفيذ هذا الخيار فعلاً.